تولية سعود بن أحمد عجرود وذكر الباشاوات
١٠٤٢هـ إلى ١٠٦٣هـ

أما الباشا على بن مبارك الماسى ، فلم يمكث فى الولاية إلا ثلاثة أشهر فخلع فى شهر ربيع الثانى ، وأجلى إلى تندرم ، ثم لم تطب العشرة بينه وبين إخوانه فيه فأجْلى ثانياً إلى بلد شيب ، فبقى هنالك إلى أنْ توفى ، وماولوْه يوم توليته إلا أن الجيش لم يجد من سبل رقبته إلا هو يومئذ لأجل مخالفة الباشا على بن عبد القادر ومهابته الحاصل.

وفى يوم خلعه اتفق الجيش كلهم على سعود بن أحمد عجرود الشرقى ، فقدموه باشا يوم الأربعاء الثانى من ربيع الثانى عام الثانى والأربعين والألف وكيفما تولى وطلع على الكرسى وجلس للمبايعة .

دخل مرسول السلطان عبد الواحد المراغدى الجرار من مراكش جاء ببروات القياد ، ورغم أن كتاب السلطان سُرِقَ منه ، وقد أدركت مخالفة جيش جنى على الباشا على بن عبد القادر بن أحمد وأن القائد حمد بن على هنالك يومئذ . جاء فيها لرسم شراء الزرع له فقضى حاجته منها ، وأتمها فتجهز للرجوع إلى تنبكت فخرج من جنى يوم الثانى من ربيع الثانى .

وفى يوم الاثنين العاشر من جمادى الأول قبض القائد ملوك ، جنكى بنكر باتفاق الجيش كلهم وسجن وزعموا أنه خرق إجماعهم فى المخالفة على الباشا على ، لأنهم تعاهدوا معه فى ذلك وتحالفوا عليها . وقيل : إنه الذى بعث له الخبر فيه ، وأنهم قبضوا محمد بن مؤمن ، وأكلوا ما فى داره ، وبلغه مرسوله فى رابع يوم القبض عليه فى طريق جهة الحجر .

وفى عشية الخميس الثالث عشر منه قتِلَ صبراً فى القصبة ، وجُعلَ رأسه فى خشبة ووقفوه فى السوق فكان ذلك منكراً عظيمًا ، وبدعاً شنيعاً عند قومه السودانيين ، فقاموا كلهم وخالفوا . ورأس الخلافة [١] يوسر محمد بن عثمان وتبعه على ذلك

---

(١) رأس الخلافة : قام بالثورة .

ساسر وكرمو ومانع وغيرهم من خُدام جنكى الذين فى جهة المغرب ، فحاصر يوسر أهل بيشا من التجار .

فبلغ الخبر أهل جنى ، فصرف القائد ملوك المحلة لقتاله ، وجعل عليها الكاهيين الفوقانيين محمد بن راح ، وسالم بن عطية فطردهم يوسر ولم ينالوا منه شيئاً ، فهربوا وتركوا واحدة من قباواتهم مطروحة فى المرسى ، وهى للكاهية سالم ، فولوا مدبرين إلى قرية سربا فرسوا فيها ، وبعثوا للقائد ملوك أنْ يمدهم بالإغاثة فذهب فيها الكاهية محمد التارزى بمَنْ بقى فى البلد من الرماة .

فتلقى بالمحلة راجعين لجنى فرجع معهم ولم يغنوا بشيء ، وقبل وصول المحلة إلى بينا صرف يوسر المذكور الصرخة لمن وراءه من السلاطين دعكى وأمكى وغيرهما ، فأصابوا جميعاً فصرف كلٌّ منهم طائفة من الرجال لإغاثته ، حتى بقى يوسر يخاصمهم أنْ لا يصلوا مع الرماة الغاية فى القتال ظاهرًا عياناً .

وبقى أهل جنى فى الحصران أربعة أشهر لا داعياً ولا مُجيباً ، ولا تسمع كل يوم من الخبر السوء إلا ما يكاد أنْ يُقطع نياط القلب ، لأن ذلك القتل بلغ الغاية والنهاية من الغيظ فى قلوب السودانيين ، وحلفوا إذا ما أعطاهم أهل جنى القائد ملوك يقتلوه بقتيلهم لا بد أنْ يأتوا إلى جنى ويقتلوا جميع مَنْ فيها من البيضان [1] لأهل المخزن لا غيرهم .

والناس فى ذلك الهم والغم حتى جاءهم القائد أحمد بن حم على فى أواخر جمادى الآخرة من العام المذكور ، ولاه الباشا مسعود قيادة المدينة ، وعزل ملوك منها ، فكان ذلك مفتاح فرج ورحمة ، وذكر الناس لهم أن ذلك القتل كان من ملوك وحده فقط ، ولذلك عزله صاحب الأمر ، فرخيت من ذلك شدة غيظهم وبقى القائد أحمد يساسيهم ويسكنهم بالعطايا والكلام الحسان ، حتى ذهب بأمهم وامتحى ، ولكن قد أورث لهم ذلك الحال الخسارة والحقارة للناس .

(رحلة السعدى الثانية إلى ماسنة)

وفـــى أواخــر ذى القعدة الحرام مشيتُ إلى ماسنة ، عند المحب السيد القاضى

---

(١) البيضان : لفظ يُطلق على أصحاب البشرة البيضاء ، وعكسها سودان يُطلق عـلى أصـحاب البـشرة السوداء.

محمد سنب السلطان حمد أمنه للزيات المعتادة فاستهل على فيها ذو الحجة الحرام ، المُكمل للعام الثانى والأربعين والألف .

وفى نهار يوم التروية وصلتُ جنى ، وقد أودعنى السلطان حمد أمنة رسالة عند القائد أحمد بن حم بن على فى أمر خديمه جرن كوج ، وهو صاحب الرو قد غضب عليه وخاف من سطوته فهرب إلى أرض جنى عند جاجى ولد حمد عائشة ، والعداوة القديمة الموروثة بينه وبين حمد أمنة المذكور .

فبلغت القائد أحمد تلك الرسالة ، وذلك أنه طلب منه أن يحتال كل الاحتيال حتى يتمكن من الهارب فيقبضه ويجعله فى الحديد فيبعث له بالإعلام فيه ، فصرف له القائد أحمد بالحضور لديه غير ما مر فلم يقبل كأنه فطن لما فى الحال .

ثم مضى حمد أمنة للعوالى على عادتهم المعروفة فى الارتياع هنالك فى المدة المعروفة إلى أنْ تمتْ المدة ورجع للساحل ، فكتبنا له ما جرى فى قصة القائد مع جرن ، فاستأخر إلى ليلة الثانية من شوال عام الثالث والأربعين والألف .

نهض بنفسه فى جيشه قاصدًا جاجى المذكور فى حلته ، فقدم مرسول إلى ساعتئذ فطلب منى أنْ ألقاه فى الطريق قبل وصوله إلى مقصده ، وأن الميعاد فى الملاقاة وراء بحر كاكر يأتى معى شاهد واحد من شهود القاضى لسغى بينه وبين جاجى فى الصلح وهو ابن عمه ولا يريد الفساد بينه وبينه فوصل إلى المرسول .

وذهبت معه عند القاضى فأخبره بالرسالة ، فقال : بسم الله وعلى بركة الله بعد استئذان القائد ، فأذن فيه وأمرنا بالذهاب إليه ، فسمع بذلك الكاهية محمد بن روح ، فجاء إلى القائد وقال له : هذا طريقنا ليس بطريقة الطلبة ، فأمره القائد بالذهاب فذهب مع الكاهية محمد الهندى فى جماعة من الرماة و الأتباع .

فلما رأى ذلك المرسول حمد أمنة قال : هذا رأى سوء ولا يرضى بها أحد ، ولا يقدر هو أن يسبقوه إليه بالعمل الذى ما أمر به فقطع الأرض قدامهم ، وسبقهم إليه ووجده فى الميعاد نازلًا ، فأخبره الخبر فغضب غضبًا شديدًا وقال : أى شيء حملهم إلى الدخول فى الطريق الذى ليس بطريقهم ، هذا الطريق ليس بطريق أهل السلطنة ، إنما هو طريق الطلبة لأنه إصلاح بين الناس .

وأمر المرسول بالرجوع ثانياً إلى القاضى أن يقول له : لا يأتنى إلا عبد الرحمن مع شاهد آخر ، وأنْ يقول له أيضاً : أليس أبوه القاضى موسى داب وشهوده الذين أتوا إلى جده فى بلد ساسع حين وقع الاختلاف بينه وبين أخيه حمد عائشة والدجاجى هذا فى الإصلاح بينهم .

فرجع المرسول وركب هو مع جيشه وحاد عن الطريق للكواهى ، فلما سمع القاضى مقالته صدق ما قال إلا صحيحاً . فبعث بذلك للقائد أيضاً ، فأمرنا بالذهاب واتفقنا عليه بعد صلاة العصر .

فلما بدل الطريق للكواهى سمعوا بذلك ، ورجعوا فى طريق آخر للقائه ما وصلوه إلا بعد التعب و المشقة ، فلم يرضَ أنْ يدنو إليه فضلاً عن رؤيته حتى إلى وب ، فنزل فيها وبنى له قباءه فدخل فيها فنزل الكاهيان وأتباعهما فى الشمس ، واستأذنوا عليه ، فلم يرضَ لهم بالرؤية حتى صلى العصر فخرج وركب وجاز عليهم قعودًا .

ولم يسلم عليهم فساقط أخاه سلامع إلى عند قصر البلد فى جماعة كثيرة الكاهية محمد الهندى هو الذى اجترأ وركب حتى وصله ، فقال له : يا فندنك هذا الحال رأينا ما جئت إلا لقتال أهل جنى ، فإنْ كان لذلك فلا تجوز هذا الموضع حتى تبدأ بنا أولاً فحينئذ تكلم لهم وسلم عليهم ، ورجع بهم إلى عند قبائه فأنزلهم .

فصلينا العصر وعزمنا على الذهاب إليه كما طلب ، فحين خرجنا من باب القصر التقينا بخيل سلامع انتشروا يميناً وشمالاً بالقتل والرمى بالحريش والكشط حتى وصلوا أبواب القصر فرجعنا خوفاً منهم ، فخاف أهل البلد خوفاً عظيماً ، وظنوا أنهم ما صدر منهم هذا العمل إلا بعد ما تعدوْا على الكاهيين وأتباعهم ، وهم فى ذلك الهمّ والغم إلى عند غروب الشمس ، جاء مراسيلهما عند القائد ، وذكروا له أن الكواهى باتوا عند حمد آمنة فى تبكة وب ، وأنْ يصرف لهم الضيافة فصرفها لهم ساعتئذ على البغال والحمير .

أما جاجى فهرب إلى وراء البحر خوفاً منه ، وأما جرن فهرب إلى جهة أخرى فباتوا مع حمد آمنة فى ذلك الموضع ، وفى آخر الليل ركب ولا علم عندهم حتى دخل حلة جاجى المذكور ، فدخل فى داره ، وأجال حصانه فيها راكبًا ، ثم خرج حتى وصل حائط القصر ووضع يده عليها إبراء لقسمه .

وفى الغد بكرة توادع معهم فولى إلى بلده ، واتبعهم إخوته الثلاثة سلامع ، وعلى التلمسانى وأبا بكر امنة إلى تحت القصر فتوادعوا ، فدخلوا القصر ، ومضوا لاحقين أخاهم السلطان إلى بلادهم .

ثم بعث إلى جرن المذكور ابنه أن نطلب له الشفاعة عنده ليرجع وأولاده لمكانهم

ماسنة ، فذكرته للقاضى فكتب له فى ذلك فعفا عنهم . وقيل : ولكن بشرط أن نحلفهم فى الجامع على أنهم لا يسعوْنَ فى غدرته أبدًا . فأرسلنا منْ يحلفهم فى جامع قرية كوفس ، ورددنا له المرسول فى إنفاذ ما أمر فيهم ، فكتب لنا معه أنه سمع أن الباشا سعود خرج فى المحلة عازماً إليه بنفسه ، وهو لا يعرف ما الموجب لذلك لأنه ما خالف ولا خرج من الطريق ولا منع بزنكل ولا بعادة من العوائد .

وأنه دخل فى حرمة الإسلام ، وفى حرمتنا ، وفى حرمة الفقهاء كلهم والمساكين ، والقوارب والحراثين إلا ما ترك سبيله فمضيتُ به عند القاضى ، فحين صافحه قال : صدق ما نعرفه بشيء مما ذكر ولكن ليس لنا الشهادة به . اذهب الآن فى هذه الليلة إلى عند تجار البلد واسألهم عن شهادتهم فيه ، لأن أموالهم هابطة وطالعة على هذا البحر ، وهم أعرف بها فى الحال فإن سمعت شهادة اثنين منهم كفى .

وأرسل عند القائد أحمد فى هذه الليلة منْ يخبره بهذه الواقعة وأنا آتيه غدًا إن شاء الله تعالى فى أمر هذه الشفاعة عند الباشا ، فكملت الأغراض كلها كما أمرنى ، وبتنا على أن نبكر عنده غداً ، فإذا مرسول الباشا قد ورد إليه بكرة بكتابه ، كتبه فى بلد تندرم فى محلته ، وما ترك من فحش الكلام ، وخطاب الغضب إلا وذكر للقائد ولجيش جنى والذين معه كيف جاءهم حمد أمنة الطاغى تحت القصر ، وسدوا الأبواب عنهم دونه ، وحاصرهم سبعة أيام ، وما ولى عنهم إلا بعد الرشوة الكبيرة .

وها هو جاء وما يلزمهم وحمد أمنة المذكور من العقوبة يرونها إن شاء الله ، فبعد ما قرأوا الكتاب صرف إلى القائد بأنْ أقول للقاضى لا يأتيه أصلاً قد جاءهم كتاب الباشا بما لا ينبغى من كلام السوء فى شأنهم مع حمد أمنة ، وأنهم نسوا أنفسهم فضلاً عنه.

فانكفّ القاضى عن ما يريد ، ولما سمع جرن بما جرى تشوش ولم يجد الصبر من نفسه إلى مجيء ذلك الإذن ، فرجع وأولاده إلى ماسنة عند حمد أمنة فعفا عنهم وتركهم .

وفى أواخر ذى القعدة الحرام وصل الباشا سعود مدينة جنى فنزل فى سانون وبنى محلته على رملته ، ثم ارتحل وتوجه إلى بينا للانتقام من يوسر فى ثانى ذى الحجة المُكمل للعام الثالث والأربعين والألف ، فهرب منه أهل تلك البلدة كافة ، وهرب يوسر إلى قريب منه ، فكمن هنالك حتى رجع ولم يأت إليه من ولاة تلك النواحى إلى شيلى كى ، وورلكى فقط . وأما دعكى ، وإمكى فبعثا إليهم مراسيلهما بالسلام عليهم ، وبقى هنالك حتى صلى عيد النحر .

وفى ثانى يوم العيد رحل منها راجعًا إلى جنى فنزل فى منزله الأول ، فشرع فى ظلم العباد ، ونم الناسُ بعضهم بعضاً ، وسعى الوشاة إليه بأخوى محمد سعدى ، وعبد المغيث قبل أن يخرج من تنبكت ، فبعث لهما فى المجيء إليه بالمحلة ، بعد أن قبض من محمد سعدى مائتى مثقال ظلماً .

فلما امتثلا بين يديه . قال : يا الفع سعدى ليس لك شغل إلا اجتماع التجار فى دارك كل يوم مع القائد أحمد فى ذكر عيوبنا ومساوئنا ، ولكن ما سمعنا أنك تخوض فى ذلك معهم . وأنت يا عبد المغيث يا كذا يا كذا ، أنت الذى تظلم الناس وتأخذ متاعهم ظلماً للقائد أحمد ، ارتحل من هذا البلد وارجع تنبكت .

ثم أمرهما أن يرجعا لديارهم ونوى التأخر هنالك إلى سلخ المحرم ، وفى يوم واحد جاء الباشوطات إلى كير لرؤية أصحابهم وأحبائهم هنالك ، فسمعوا فيه جميع ما قبض من الناس ظلمًا ، فجعلوا أن ذلك ما وقع فى آذانهم فى المحلة ، فقالوا له : هذا تخريب البلاد .

ولما رجعوا إليه عشية ذلك اليوم قالوا له : تعزم على الرجوع لتنبكت غداً ، فاعتذر لهم : لا يمكن ذلك حتى يولى المراسيل الذين صرفهم عند سلاطين هذا الإقليم . قالوا له : ولا بد من المشى لأن هذا البلد لا طاقة لأهله على تأخرنا فيه إنْ لم يكُنْ لك مراد فيه ، فللسلطان وجيشه مراد فيه فعزم وسم الشراويط لأرباب القوارب للخياطة .

وحين نزل فى المحلة عند مجيئه من تنبكت ، سأل القائد أحمد عن حالهم مع صاحب ماسنة حين نزل عليهم فى جنى ، فقال له ما أتى من أجلهم ، إنما أتى من أجل خديمه الذى هرب منه ونزل عند أعدائه ، وأنهم ما عرفوه بالخروج من الطاعة، فقال : إن كان كذلك لأى شيء مرسوله ما جاءنا لزيارتنا والسلام علينا وصرف ضيافتنا .

فأرسل القائد أحمد ساعتئذ من عنده إلىَّ بأنْ أرسل له ولا بدّ أنْ يصرف ضيافة الباشا مع مرسوله بعجلة ومبادرة ، وأنْ لا يجيء أحد فى ذلك إلا كنبع ففعل فجاء بالضيافة وسلّم عليه ودعا له ، وجدد العهد ومشى معه إلى بلد كونا فتساقط معه هنالك ، ثم صرف للفقيه محمد السعدى أنْ يأتيه فى المحلة ليتغافرا [1] ، فأتاه وتغافرا وكساه .

---

(١) يتغافران : يتم الصلح بينهما .

وفى آخر يوم من ذى الحجة خلع جنكى محمد كنبر بن جنكى محمد كنب ، وفى أول يوم من المحرم الفاتح للعام الرابع والأربعين والألف استحلف جنكى عبد الله ابن جنكى أبى بكر ، وفى ثانية قضى راجعاً إلى تنبكت . وذهب بالأخ عبد المغيث معه وجعله فى قارب الخزانة ، ووصى خازنه الشيخ بص عليه بخير ، وركبت معهم يومئذ لموادعة الأخ إلى قرية دبن فنزل عليه ، أى الباشا سعود مرض الموت ضحوة يوم رحلته من جنى وعليه الركوب ، فدخل فى القارب ورجعتُ أنا إلى جنى .

وفى بلد كونا تلقا خبر هروب الأمين القائد عبد القادر العمرانى قد هرب فى أواسط ذى الحجة ، فازداد مرضًا على مرض من الكرب والغم ، وكان هروبه فى أواسط ذى الحجة الحرام لما رأى الخلل والفساد والرزالة فيهم .

فقصد المرابط سيد على صاحب ساحل ، فلقيه بالخير والإكرام ، وسكن عنده فى عز ومنعة فوصل هو إلى تنبكت بذلك المرض ، ولما بلغ المرسى أمر الأخ عبد المغيث أن يسير إلى دار والده ويسكن فيها . وولى الحاكم أحمد ابن يحى مقام العمرانى فصار قائداً أميناً فى ثالث عشر يوماً من المحرم المذكور عند وصوله تنبكت ، وبقى هو كذلك مريضاً إلى أنْ توفى فى أوائل الربيع النبوى ، ودُفن فى جامع محمد نض .

فخلفه فى ولاية المرتبة بهذا التاريخ الباشا عبد الرحمن بن القائد أحمد بن سعدون الشاظمى باتفاق الجيش . وفى يوم الأحد السابع والعشرين من جمادى الآخرة من هذا العام خرجتُ من جنى إلى تنبكت لمطالعة حال الأخ عبد المغيث ، وطلب الشفاعة له لكى نرجع لداره فى جنى ، فاستهل علينا شهر رجب الفرد عند توجهنا بحرودب ، ووسينا كبر عشية الاثنين ودخلت مسقط الرأس مدينة تنبكت يوم الأحد الخامس من الشهر المذكور ، وتلقيت فيه بالخير والإكرام .

ووصلتُ عند الباشا فسلمتُ عليه ، فرحَّب بى وأكرمنى ، وأفرحنى فى الأخ المذكور . وقال : جميع ما نسب إليه النمامون من السوء فهو منه بريء ، وذلك زور وافتراء ، ووعدنى بإطلاق سراحه ورجوعه لداره إنْ شاء الله تعالى . وقال : إن الذى سنمه عند الباشا مسعود ما توسل إلا بى ، وأنا الذى أمرته بإخراجه من جنى وهو رحمه الله ما عقبه فى مقامه إلا أنا ، ولا يكون صواباً أن أنقض أمره بقرب وفاته فدعوت له ، وقرأت له الفاتحة .

وقد كشف الله لنا ذلك النمام فعرفناه ، فحكم الله تعالى فيه بما هو أعظم مما جرى على الأخ المذكور ، فقطع دابر القوم الذين ظلموه ، والحمد لله رب العالمين .

وفى عشية الاثنين السابع والعشرين منه عزل إسكيا محمد بنكن . وفى يوم الأربعاء آخر يوم من رجب الفرد ولى إسكيا على سنب مقامه . وفى يوم الجمعة بعد صلاة العصر الثانى من شعبان خرجت من تنبكت راجعاً إلى جنى ، فوصلته فى أواسطه سالمًا معافى ، والحمد لله رب العالمين .

(أحداث ووفيات عام ١٠٤٥هـ)

وفى ضحوة الجمعة الثالث عشر من المحرم الحرام الفاتح للعام الخامس والأربعين والألف تُوفى الشيخ الفقيه العلامة القاضى أبو العباس سيدى أحمد ابن أند غمحمد بن أحمد رحمه الله تعالى ونفعنا به ، وولى القضاء الفقيه القاضى محمد بن الفقيه الإمام محمد بن محمد كرى .

وفى أوائل الصفر من هذا العام تُوفى الباشا عبد الرحمن ، ودُفن فى مقابر الجامع الكبير ، ومكث فى الولاية إحدى عشر شهرًا ، فتولى الباشا سعيد بن على المحمودى بهذا التاريخ فعزل إسكيا على سنب ، ومكث فيها خمسة أشهر وأياماً ، ورد إسكيا محمد بنكن فى مقامه .

فى أيامه جاء يترا فرم إسماعيل أخو إسكيا داود بن إسكيا محمد بان بن إسكيا داود إلى تنبكت خوفاً من أخيه المذكور أنْ يقتله ، فطلب من الباشا سعيد أنْ يمده بالجيش من الرماة حتى يعزل أخاه من السلطنة ويتولى مقامه ، فنهاه عنه إسكيا محمد بنكن على وجه النصيحة ، فلم يقبل وغضب عليه وزعم أن الناس أخبروه أنه لايفسد أمره عند أهل المخزن غير هو .

(مظالم القائد أحمد بن حم)

فلما سمع ذلك إسكيا محمد بنكن عاونه عند الباشا سعيد حتى قضى حاجته بما أراد ، ولكن كتب بذلك عند أهل كاغ وأمرهم أنْ يعطوه من الجيش ما يكفيه فتوجه بهم إلى دند ، وطرد أخاه وتولى مقامه فطرد إلى الرماة ، وشمت بهم وأطلق لسانه فيهم بالسبِّ والفحش من الكلام ، فبقى غيظ فى قلوبهم إلى ولاية الباشا مسعود .

ثم إن القائد أحمد بن حم بن على شرع فى أصناف من الظلم والجور للخاصة والعامة ، من التجار والعلماء والضعفاء والمساكين ، حتى انتقل جميع التجار من جنى إلى بلد بينا ، وعزلنى من الإمامة ظلماً وعدواناً ، فذهبتُ إلى تنبكت .

وفى أوائل شوال من العام السادس والأربعين والألف وصلته ولقينى أهلها بالخير والإكرام من أهل المخزن وغيرهم ، فغضبوا عليهم غضباً شديدًا ، ولا تسمع عليه إلا داعياً وساباً ، فمشيتُ عند الفقيه القاضى محمد كرى لأسلم عليه فلما رآنى قام على فراشه ورحَّب بى ، وقبض يدى وأجلسنى على ذلك الفراش ، وبادرنى بالكلام فيما عاملنى به من العمل السوء .

فقال : سمعتُ أن القائد أحمد رجع منافقاً تماماً حسوداً ، ثم استرجع من اجتماع هذه الأوصاف الثلاثة الذميمة فى وال ، ثم دعا عليه بأن يجعله الله فى إرادته ، ثم راودنى أهل تنبكت فى أن أرجع فى تلك الإمامة ، فامتنعت ولم أقبل منهم السيد المحب الأعظم الشريف فابن ، والمشاور [1] مسعود بن منصور الزعرى ، وبيده الحل والعقد يومئذ .

وحتى كتب إليه الباشا سعيد بن على المحمودى فى أمرى ، فسجن منْ له القدرة والإرادة ، والكتاب ما زال بيدى . جاءت إليه الشكوى فى أمره وترادفت بأنه من المفسدين الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، من تجار البلد ، ومن أهل إكبار أولاد سالم وغيرهم ، فعزله يوم السبت السادس عشر من ذى القعدة الحرام فى العام المذكور .

ومكث فى القيادة أربع سنين وستة أشهر ، وصرف للكاهية محمد بن الحسن التارزى فى جنى أنْ يأتى ، فولاه الباشا سعيد المذكور قيادة جنى فى أوائل ذى الحجة الحرام المُكمل للعام السادس والأربعين والألف ، وفى أوائل المحرم الحرام الفاتح للعام السابع والأربعين والألف رجع إلى جنى قائداً .

وفى يوم الأربعاء الثانى من جمادى الآخرة من هذا العام عزل الباشا سعيد فتولى مقامه الباشا مسعود بن منصور الزعرى باتفاق الجيش ، ومكث المعزول فى الولاية سنتين وخمسة أشهر . وفى شهر ذى القعدة الحرام منه أطلق سراح الأخ عبد المغيث ، فرجع إلى داره فى جنى .

---

(١) المشاور : هو من يُدخل الناس على الباشا ، أشبه بمهنة الحاجب أو السكرتير حالياً .

وفى رابع ذى الحجة الحرام المُكمِّل للعام السابع والأربعين والألف خرجتُ من جنى وتوجهتُ إلى تنبكت لرسم السفر ، وضحينا فى بلد كونا ووصلتُ المقصد الذى هو مسقط رأسى فى أواخر الشهر المذكور ، واستهل فيه شهر المحرم الحرام الفاتح للعام الثامن والأربعين والألف ، وقضيتُ حاجتى ، وفى أواخر الربيع النبوى خرجتُ من تنبكت راجعًا إلى جنى ، فوصلتُه فى أوائل الربيع الثانى .

وفى شهر جمادى الآخرة والله أعلم توفى الباشا سعيد وقيل إنه مطعوم . وفى شهر شعبان منه عزل القائد محمد التارزى من القيادة ، ومكث فيها عامًا واحدًا وثمانية أشهر فولاها على بن رحمون المنبهى قائدًا ، وفى أواخر رمضان من هذا العام دخل مدينة جنى . فولى كلشع عبد الرحمن بن كلشع بكى مقام عمه المرحوم أخينا ومُحبنا ونافعنا كلشع محمد إسن .

وقد توفى رحمه الله تعالى ليلة الخميس الخامس عشر من هذا الرمضان فوجَّه إليه مراسيله بكسوته على سبيل العادة ، وبعث إلى فى بينا ، وطلب منى أنْ أحضر معهم لديه وأصلح فيهم حتى يتفاصلوا على أحسن الأحوال فحضرت وأصلحت بينهم ، وتفاصلوا على خير وسبقتهم إلى جنى فى أوائل شوال ، فأخبرته بما جرى ففرح به غاية الفرح ، فأعطانى شقة [1] الخماسى وأمرنى أن أكسى بها أولادى .

(حوادث الغلاء فى جنى)

وفى هذا الشهر ابتدأت الحوادث والغلاء المفرط الذى لم نعهد قبلها فى جنى ، وبقيت تزداد حتى عمَّتْ الآفاق والأقطار ، وبلغت فى الشدة مبلغاً حتى أكلت امرأة ولدها ، ومات فيها من الخلق ما لا يُحصى عدده إلا الله تعالى ، وفرغ الجهد من الناس حتى عجزوا عن تجهيز الأموات إلا حينما مات أمرى وورى فيه من البيوت والأزقة بلا غُسْل ولا صلاة ، فدامت نحو ثلاث سنين ، ثم انصرفتُ ، والحمد لله رب العالمين .

ثم إن القائد على بن رحمون سافط مراسيل الباشا مسعود الذين جاءوا معه إلى

---

(١) شقة : نوع من الأقمشة ، تُعطى على سبيل الهبة .

جنى ، وصرف معهم القائد محمد التارزى إليه بأمره ، ولما نأوا به عن المدينة ربطوه فى الحديد ، فوصله فى تلك الحالة فى دار السلطان فى المشورة بأمره ، ثم أمر بإخراجه إلى بلد انكند ، وهو موضع العذاب لمن غضب عليه فقتل هنالك ، ورمى به فى البحر.

وذلك فى أواخر ذى الحجة الحرام المُكمل للعام الثامن والأربعين والألف . وفيه عزل الأمين القائد أحمد بن يحى وأمر بإلقائه فى البحر فى موضع يقال له بور يندى ، فمات منه بعد عزله بثلاثة أيام ، ومكث فى القيادة خمسة أعوام من غير عشرين يوماً .

وفى يوم الأحد السابع والعشرين من الشهر المذكور ، ولى الأمين القائد بلقاسم ابن على بن أحمد التملى مقامه .

(حوادث عام ١٠٤٩ هـ)

وفى أوائل الصفر فى العام التاسع والأربعين والألف تُوفى القائد ملوك بن زرقون فى تنبكت ، ودُفنَ فى مقابر الجامع الكبير . وفى ليلة الأربعاء السابعة منه توفى القائد أحمد بن القائد حم بن على وألقى فى البحر بأمره فى قرب قرية كنى ، فمات منه بعد ما أمر بأكل داره وسجنه فى بلد كب زمناً طويلاً .

وفى يوم الاثنين الثانى عشر منه خرج بالمحلة إلى أرض دند لمقاتلة إسكيا إسماعيل بن إسكيا محمد بان بن الأمير إسكيا داود لأجل ما عامل به الرماة الذين مشوا معه لمطاردة أخيه من الأعمال السوء التى تقدَّم ذكرها .

ولما يتكلم به من فُحش الكلام للباشا مسعود وحده خاصة ، فكتم وجه مقصده عن الجيش حتى بلغ بلد ينب فأظهره حينئذ ، وتأخر فيه عشرة أيام لخياطة القوارب، ثم دفع إلى مدينة كاغ فتأخر فيها عشرة أيام ، ثم دفع إلى كوكيا فعمل فيها ليلة الولادة ، ثم توجه إلى لولامى بلد إسكيا فوصلها مع عسكره ، وقاتل معه وهزمه مع جيشه ، فتفرقوا شذر مذر .

ونزل الباشا مسعود بالمحلة فى البلد المذكور مع إسكيا محمد بنكن ، وهو صاحب الرأى والتدبير ، وصرف لمن قرب من أهل سغى بالأمان و المجيء ، فجاءوا وأطاعوا وقلد الباشا أمرهم لمحمد بن أنس بن الأمير إسكيا داود ، وجعله إسكيا لهم فسبى أموال الهارب إسماعيل وعياله وذراريه ، وهم جماعة كبيرة ، ثم ارتحل بعسكره لاحقاً إلى تنبكت ، فلما ولوا بقليل رجعوا لبلدهم ، وعزلوا محمد ولد أسن المذكور ، وقلدوا أمرهم لداود بن محمد سرك أجى ابن الأمير إسكيا داود .

وما وصل الباشا مسعود مرسى كرنز إلا يوم الثلاثاء آخر يوم من رجب الفرد مستهل شعبان بالأربعاء ، ودخل فى تنبكت يوم الخميس الثانى منه فى أثناء تلك البلاد ، فبقيتْ تزداد حتى بلغت الغاية والنهاية ، وغلبت الوصف ، وقسم أولاد إسماعيل لرؤساء السودان ليكفوا لهم بركى ، ودرمكى ، وجنكى ، وكبرائه شم ، وتاكروسلتى ورى وغيرهم .

ثم إن القائد على بن رحمون عجز عن أداء الرواتب والمعونات من أجل الشدة التى عمَّتْ العباد والبلاد ، حتى بقى لا يرد الجناية (مانفع) فعزله الباشا مسعود فى أوائل المُحرم الحرام الفاتح للعام الحادى والخمسين والألف .

ومكث فى الولاية سنتين وثلاثة أشهر وأياماً يسيرًا ، فولاها الحاكم عبد الكريم ابن العبيد بن حم ، وحق الدرعى ، فمكث فيها عاماً وعشرة أشهر ، فما أغنى شيئاً .

وفى ليلة الأحد الحادية والعشرين من رمضان فى العام الثانى والخمسين والألف تُوفى المُحبّ الناصح النافع إسكيا محمد بنكن بن بلمع محمد الصادق ابن الأمير إسكيا داود رحمه الله تعالى وغفر له وعفا عنه بمنِّه ، ما مكث فى الولاية إحدى وعشرين عامًا وتسعة أشهر وخمسة أيام إسكيا على سنب ، فولى مقامه لابنه الحاج محمد ، وهو بنك فرم يومئذ ولم يتول بنك فرم مرتبة التسكية [1] منذ ابتداء دولتهم إلا هو ، وهو الذى فيها اليوم أعنى الحاج محمد ابن إسكيا محمد بنكن .

وفى أواسط ذى القعدة الحرام من هذا العام المذكور عزل الحاكم عبد الكريم من حكومة جنى وولاها عبد الله بن الباشا أحمد بن يوسف قائدًا ، فدخل مدينة جنى ضحوة الجمعة السابع من ذى الحجة الحرام المُكمِّل للعام المذكور .

(ثورة أهل جنى ضد حكم الباشاوات)

وفى يوم الأحد التاسع منه يوم عرفة ، قام أهل جنى وخالفوا على الباشا مسعود ، وأحصوا أمواله التى فى ذلك البلد وأعطوا منها الرواتب والمؤنات ، وسجنوا مراسيله الذين كانوا هنالك ، وربطوا الطريق إلى تنبكت ومنعوا المساكين من عندهم إليه من المسافرين .

---

(١) التسكية : أى يصبح إسكيا .

ثم أطلقوا قاربين فى يوم الأحد الخامس عشر من المحرم الحرام الفاتح للعام الثالث والخمسين والألف كى يبلغوا حقيقة خبرهم لأهل تنبكت لعلهم يخالفون عليه كما خالفوا ، فلما سمع ذلك الخبر احتال فى المُضى إليهم بالمحلة ، فعزم على الخروج يوم الاثنين غرة صفر الخير خالفوا عليه وانفصلتْ جماعة منهم يومئذ ، وذهبوا إلى عند القائد محمد بن محمد بن عثمان إلى داره .

فلما بلغه الخبر تحزَّم إليهم فى جماعة من أهل الجيش الجل [1] منهم تبعوه بلا نية له، فلما بلغهم فى باب دار القائد محمد المذكور بادرهم بالقتال ، فأعطوه وجوههم فانكسر واتبعوه إلى باب القصبة فاقتتلوا ، ومات منهم من قدّر اللهُ أجله فيها ، وأدخل الذين معه فى القصبة وغلق الباب عليه وعليهم ، فخرج القائد محمد وأصحابه ساعتئذ إلى المرسى وباتوا ، ثم قبضوا جميع ما هنالك من القوارب فحصروهم ولحقهم هنالك كثير من أهل القصبة تلك الليلة .

فخرجوا من أعلاها فصرف [2] إليهم الشرفاء ليصلحوا بينهم فأبوا ، ثم خرج فى جماعة من الخيل وتوجه نحو المغرب ناويًا الهروب ، فبات فى الغيبة ليلة واحدة ما وجد السبيل إلى ذلك ، فرجع للبلد وسلم لله تعالى فيما قدَّر وقضى ، لأن الأيام قد تمت والملك قد زال وانقرض فقبضه مَنْ بقى فى القصبة خوفاً على أنفسهم من العقوبة فسجنوه .

وبعثوا بخبره لأصحابه فى المرسى فى أوائل الصفر فى العام المذكور ، فبايعوا ساعتئذ الباشا محمد بن محمد بن عثمان بيعة تامة باتفاق أولئك الجيش ، ثم ارتحلوا من المرسى إلى تنبكت ، فطالعوا بيت السلطان ولم يجدوا فيها من المال شيئاً سوى أربعمائة مثقال حليًا ، فسئل بالمال وهو بالسجن فلم يقر بشيء فشدد عليه فى المسألة حلف إذا انقضى هذا الشهر عليه ، وهو فى الولاية لظهر عدمه وانكشف حاله حتى يعلمها الخاصة والعامة .

ثم طلب من الباشا الأمان على روحه ، فقال : إنه أعطاه أمان الله على روحه الذى ليس كمثل أمانه الذى ينقصه ويغدر فيه ، ثم بعث به إلى صاحب كرو مقيدًا برسم السجن هنالك فبقى كذلك إلى أنْ مات فى مدة الحيونى ، ومكث فى الولاية خمس سنين وثمانية أشهر وأياماً يسيرة .

---

(١) الجل : الأغلبية .

(٢) صرف : أرسل .

وفى يوم الاثنين الثانى والعشرين من هذا الصفر مشيتُ من بلد ونزع إلى ماسنة لتعزية أهل بيت المحب الفقيه محمد سنب بمصيبة موته . وتعزية السلطان فندنك حمد أمنة بمصيبة موت أخيه سلامع ، فوصلتُ حلة السلطان عشية الثلاثاء آخر يوم من الشهر المذكور فسلمتُ عليه ودعوت له ، واستهل علىّ الربيع النبوى عند ليلة الأربعاء .

وأخبرنى فى تلك الليلة أنه سمع من هذه الساعة أن غزوة الباشا ناتية [1] ، وأنهم بلغوا بلد شيب فوادعته تلك الليلة لأجل هذا الخبر ، وأخبرته بأن أمضى إلى حلة الأخ المرحوم لأعزى أهله ، فأمرنى أنْ أقول لأخيه القاضى على سر أنْ يرتحل إليه لأجل هذا الخبر ، فخرجت عنده من بكرة فوصلتهم عشية الأربعاء فعزيتهم ، وبلّغت القاضى رسالته ، وبتُّ عندهم ليلة الخميس .

وفى غدها بكرة خرجت من عندهم قاصدًا (ديور) ، فبت حلات الصنهاجيين أهل ماسنة ، بعد ما وصلت بلد كنكر لبعض الحاجة ، فلما صليتُ الصبح خرجتُ من عندهم قاصدًا حلة الأخ ، الفقيه بو بكر مود وهى فى قرب جبل سربا من أرض بحردب وقت يبس الماء .

وفى وقت الضحى تلقيت مع أناس هاربين بأموالهم من البقر ، من ناحية إلى ناحية فى المرعى لأجل خبر تلك الغزوة ، وفى وقت الزوال وصلتُ عند ذلك الأخ فأخبرتُهم الخبر ، فبعث الطليعة ساعتئذ ، وكيفما صلينا المغرب رجع بصحة ذلك الخبر ، وزعم أنه سمع من إسكيا هو الذى أتى بتلك الغزوة ، ورحلوا ساعتئذ بأنفسهم وعيالهم وبقراتهم ، وتركوا خيامهم منصوبات بأثاثهم وأمتعتهم ، وهربوا وهرب جميع مَنْ كان فى تلك الناحية كلها أشتاتًا ، أشتاتًا خائفين مرعوبين ، لا تسمع إلا بُكاء وصُراخًا ولا ينتظر أحدٌ أحداً ولا يلتفت أحدٌ إلى أحد .

فباتوا كذلك إلى ضُحى الغد نزلوا قليلاً ، ثم تشوَّشوا من شدة الخوف فى قلوبهم، فارتحلوا هاربين ، ومات كثير من الناس فى ذلك اليوم من العطش ، فكبت معهم حتى حاذينا بلد كعنى فارقتهم وطرقتهم وتأخرت فيه ، حتى جاء الصحيحُ من الخبر أن تلك الغزوة جاءتْ لأجل فندنك عثمان صاحب دنك لما غضب عليه الباشا فهرب ، ودخلوا فى أثره حتى دخل ماسنة .

وانتهت الغزوة عنكب فرجعوا منه إلى تنبكت ، وإسكيا ليس فيهم بل ظنـــوا

---

(١) ناتية : قريبة .

ذلك ، ثم ركبت القارب منه إلى عند صاحبى منس محمد بن منس على صاحب فدك. قد أرسل لى بأنْ أجيء بالقارب لرفود الزرع ، لما أسمع أنّى عازمٌ على المسير إلى تنبكت ، فدفعت من ذلك البلد يوم السبت الخامس عشر من جُمادى الأولى .

وفى يوم الأربعاء السادس والعشرين منه عند الظهر وصلتُ بلد كوكر واستأخرتُ فيه عند سلطانه ثلاثة أيام ، يوم الخميس والجمعة والسبت ، وفى نهاره دفعتُ منه إلى عند فدك كى ، واستهل علىَّ شهر جمادى الآخرة فى قرية فولو ليلة الأحد . وفى ضحوة الأربعاء الرابع منه وصلتُ بلد كمن ، وهو مرسى بلد فدك فنزلتُ فيها ، وبعث له الأعلام بمجيئى ، فجاء عشية ذلك اليوم للقائى راكبًا بنفسه، والسحاب نزل فى حشمه وخدمه وإخوته ، فرحب بى وأكرمنى غاية الإكرام .

وفى ليلة الاثنين السادس عشر منه بعد العشاء الآخرة زادت لى [1] بنيه من جاريتى تنن فى البلد المذكور سميتها زينب ، والحصاد ما زال ، ولكن قرب فاستأخر عندهم لأجل ذلك . وفى ضحوة الجمعة الحادى عشر من رجب الفرد ، خرجتُ من البلد إلى بلد شبل زائرًا سلطانه سن كى عثمان ، والفقيه أبو بكر المعروف بمور كيبا ، فوصلتهما عند الظهر ، فرحبانى وأكرمانى غاية الإكرام ، فكسانى الفقيه أبو بكر سعنتر المذكور ، وأعطانى سن كى أَمَةً .

وفى يوم الاثنين الحادى والعشرين منه رجعتُ إلى كمن . وفى يوم الخميس الثامن والعشرين من شعبان رجعتُ عند الفقيه المذكور لسرد كتاب الشفاء له فى بيته ، فاستهل علىَّ رمضان فيه ليلة الجمعة فشرعنا فى السرد بعون الله تعالى وإرادته .

وفى آخر الشهر ختمته فواسانى بما أمكن له تقبله الله تعالى له ، ثم طلب منى أن أفسره لأولاده فشرعنا فيها ، حتى اختتمناه بفضل الله تعالى وحُسْن عونه .

وفى عشية الاثنين السادس من ذى الحجة الحرام ، المُكمِّل للعام الثالث والخمسين والألف تُوفى الأخ المحب النافع الفقيه المذكور ، فغسَّلته وصليتُ عليه فأعطانى أولاده بعد الصلاة ، وقبل الدفن خادمين وعمامة وشاشى صدقة عليه ، فأعطانى السلطان عثمان عبداً لجميع الطلبة الذين حضروا الصلاة صدقة عليه ، وهى عادتهم فى أمواتهم ، ودفناه تلك الليلة غفر الله له ورحمه وعفا عنه ، بمنِّه وكرمه .

---

(١) زادت لى : أى أنجب طفلة .

وقد أعطانى ابنته حليمة لأزوجها ما قدّر الله زواجها إلا بعد وفاته ، فعقدت عليها ليلة الاثنين الثانية عشر من المحرم الفاتح للعام الرابع والخمسين بعد الألف ، وابتنيت بها ليلة الجمعة السادسة عشر منه ، فأمرنى السلطان بالتوطن عنده بالعزم الشديد الوكيد ، فأخبر جميع أناسه بذلك ، ولم أقبله فى نيتى .

وفى ضحوة الجمعة الثامن والعشرين من صفر ، ورد علينا مرسول الباشا محمد ابن محمد بن عثمان وإسكيا محمد بكتابهما لفدك كى ، وسن كى فأخبراهما أنهم عزموا على الخروج بالمحلة لقتال صاحب التمرد ، والعناد ، والبغى ، والفساد ، الطاغى حمد آمنة صاحب ماسنة ، وأمروهم متى هزموهم بإذن الله تعالى وقوته ، وهربوا فلا لهم طريق عليهم إلا ليقتلوهم ، وليأكلوا أموالهم ، فالله تعالى يُهنئهم بها ، وكتبوا مثل ذلك لكوكر كى ماير ، ويركى بكر .

فأمسك فدك كى كتابه ولم يُبده له ، وبعث لماير كتابه مع أحد من خُدام إسكيا ، فردوا لهم الجواب صحبةَ المراسيل بأنهم على السمع والطاعة ، وأنهم حتى سمعوا بوصولهم فى أرض ماسنة لا بدّ أنْ يقفوا عليهم هناك للسلام ، ورفع التراب [1] : أنا الذى كتبتُ لهم ذلك الجواب وسلّمتُ عليهم فى الكتاب وأخبرتُهم فيه بأنّى آتى معهما إليهم بإرادة الكريم الوهاب ، فزينتُ ذلك الأمر لهما حتى قبلوه قبولاً حسناً ، وطفقوا فى الاستعداد والأهبة .

وفى يوم الاثنين الثانى من الربيع النبوى خرجتُ مع شبل إلى سن مادك للتسوق وفى العشية رجعتُ . وفى يوم الخميس الثانى عشر منه خرج الباشا وإسكيا فى المحلة من تنبكت إلى ماسنة ، وكتب لأهل جنى أن يلقياه الكاهيان وجنكى فى الطريق والميعاد فى ذلك عنكب ، فأتى إليهم الكاهية محمد بن روح ، والكاهية محمد بن إبراهيم شمر ، وجنكى إسماعيل فى ذلك الميعاد .

فدخلوا فى ماسنة ، فتهيأ حمد آمنة لقتالهم ، فالتقوا ظهر الأحد الثالث عشر من الشهر المذكور فوقع بينهما قتال شديد ، وحرب أكيد ، فإذا المطر قد نزل عليهم فى حال القتال فافترقوا ، ونال منهم حمد آمنة تلك الساعة نَيلاً عظيماً ، وبعث من ورائهم كتيبة من كتائبه ، فقتلوا كثيرًا من الرماة الذين كانوا مع الخزانة ، والخدمة ،

---

(١) رفع التراب : كانت من قواعد التحية الأفريقية ، إهالة التراب على الرؤوس ، وتعفير الوجه به فى حالة مقابلة الحاكم .

والحشمة ، ونهبوا جميع ما معهم من الأذواد والأمتعة وأفسدوا إفسادًا فاحشًا حين كان الناسُ يشتغلون بالقتال فى المعركة .

ولما افترقوا عند نزول ذلك المطر ، باتت كلتا الطائفتين فى مقابلة الأخرى ، وفى الصباح عادوا بالقتال ، فنصر اللهُ جيشَ الباشا على أهل ماسنة فى صبيحة ذلك الاثنين الرابع عشر من الشهر ، وهزموهم بإذن الله تعالى وقتلوهم قتالاً عظيمًا .

ثم بعث حمد فاطمة بن فندنك إبراهيم إلى الباشا محمد فى طلب الأمان ليأتى إليه، ويدخل فى طاعته فأذن له فى ذلك ، فجاء إليهم وجعله فندنك فنهض بين يدى الجيش ثانيًا إلى أينما كان حمد آمنة ، فوصلهم فجأة فى حُلته فطاحوا عليهم فهربوا ، وتركوا أموالهم وديارهم ، وتفرقوا شذر مذر وشتتوا أشتاتاً .

وغنم الجيشُ أموالهم وردوا لحمد فاطمة ما طلب من عيالهم ، وجعل كبار بنبر يقبضون ما توجه نحوهم من عيالهم وأموالهم انتقامًا من الله تعالى لهم من كثرة جَوْرهم وتمردهم وطغيانهم ، وإفسادهم فى الأرض من كل جهة ومكان ، وكم قتلوا من أهل الله تعالى والفقراء والمساكين ، وأخذوا أموالهم ظلمًا وعدواناً .

وفى يوم الثلاثاء السابع من جمادى الأول دفع سن [1] كى عثمان ، وفدك كى محمد من بلد ناكر فى ثلاثة عشر قارب صغير ذاهبين لزيارة الباشا محمد وإسكيا ، وفاء لموعدتهم ، وأنا معهم فى أحد القوارب .

فدخلنا فى بحر زاغ فتلقاهم حمد آمنة المذكور فى بلد ككن ، فتحدث معهم طويلاً حتى سألهم : مم ذهابهم إلى المحلة ؟ فقالوا : للزيارة ، وطلب المصالحة منهم معك . فقال لهم : نحن وأنتم متجاورون من قديم عصر من عهد الآباء والأجداد ، فإنْ كنتم مستمسكين بحبل ذلك الجوار ، فارجعوا لبلادكم لأنهم سلاطين ، فكل منْ قدم على السلطان فلا إرادة له ولا تصرُّف فى أمره .

وإذا أمركم بالغزو علىّ لا بدّ لكم من إنفاذ أمره ، أحببتم أم كرهتم . فقالوا : لابأس إنْ شاء الله ، ولا بدّ من القدوم عليهم حيث وصلنا هنا ، فتواعد معهم وأمرهم بالانتظار عند وراء بحر كلنك ، حتى يبعث لهم ضيافهم من البقرات ، فبعثها فشرعوا فى المسير ، فقلت لهم على وجه النصيحة : متى وصلتم الباشا وإسكيا

---

(١) سن : لقب معناه نائب الحاكم أو الأمير .

لا بدّ أنْ تخبروهم بجميع ما جرى بينكم وبينه ، لكى تكونوا من الصادقين فى الطاعة فقبلوا تلك النصيحة .

وفى يوم الاثنين الثالث عشر من الشهر المذكور وصلنا بلد كرن فالتقينا فيها يومئذ مع جنكى إسماعيل والكاهية محمد بن روح ، والكاهية محمد شمر ، وفندنك حمد فاطمة ، والكواهى المعزولين من أهل تنبكت فى الغزو يقصدون حمد آمنة المذكور ، ففرحوا بهم وأكرموهم وعظموهم ، غاية ونهاية فقصَّ عليهم ساعتئذ فدك كى جميع ما جرى بينهم وبينه فى طريقهم ، فقالوا له : إياه نقصد . فقال لهم : على بركة الله وحُسْن عونه . ونحن معكم على ما تريدون وتبتغون .

فكتب للكاهية محمد بن روح وجميع الكواهى ساعتئذ بخبر وصول أهل كل إليهم فى كَرَن ، وأنهم فرحوا بمجيئهم على الحال الذى جاءوا به ، وطلبوا منه أنْ يزيد لهم فى الرجال ، وأن يكون أكثرهم أهل الرجل . أنا الذى كتبتُ ذلك الكتاب لهم للباشا ، وما أنا به سن كى وفدك كى من الخيل له ولإسكيا بعثاهم لهما هنالك .

وكتب لهما كتابًا بالسلام والدعاء ، وأنهما متى تم المراد فى لحوق الطاغى حمد آمنة يأتيان إليهما لرؤية وجوههم . وكتبتُ أنا كتابى وقلتُ فيه للباشا : ما جئتُ فى هذا الطريق إلا لزيارته ، والسلام عليه . ولم أجد السبيل إليه فى هذه الساعة لأجل اتباع أهل كل مع هذه الحركة ، ومحلته يومئذ فى بور فبعث الرجال الذين طلب منه الكواهى أنْ يمدّهم بهم .

فجعل عليهم إسكيا محمد ، والكاهية أحمد بن الباشا على بن عبد الله التلمسانى ، فوصلوا إلينا فى كرن يوم الجمعة السابع عشر من الشهر المذكور ، ثم أتاهم الخبر ليلة الأحد التاسعة عشر منه بموضع مخصوص الذى فيه حمد آمنة . وأما الصلح الذى ذكر فدك كى لحمد آمنة ، فكان نسياً منسيًا ، حيث وجد حمد فاطمة جعل سلطان ماسنة .

وفى صبيحة ذلك الأحد نهضوا إليه وركبنا قواربنا ساعتئذ راجعين إلى كل وأمرنا أصحابنا بانتظارهم فى بلد زاغ حتى يأتونا هنالك ، فمضوا ومضينا ، ووصلناه عشية الثلاثاء الحادى والعشرين منه ، وتربصنا فيه أربعة أيام .

وفى عشية السبت الخامس والعشرين منه بعثوا لنا بالمضى إلى نورنسن وهى دار سن كى الذى فى ساحل بلده ، وننتظرهم هنالك ، وأنهم فى تدبير أمر المطلوب والمطر قد صدّ عن السبيل إليه فرجعنا ووصلنا يوم الأربعاء بعد صلاة العصر ليوم

بقى من الشهر المذكور ، فنزلت ساعتئذ وطلعت إلى شبل وبلغته عند أصيل الشمس وأخبرت أهله بسلامتهم وبالخير الذى عاملهم به الباشا وإسكيا ، ففرحوا غاية الفرح ولم يقدر أحدٌ أنْ يصل داره إلا أنا وحدى فقط حتى أدركهم السلاطين ثَمَّ .

فتم الشهر واستهل جمادى الآخرة بالجمعة ، ثم إن الغزو رجعوا ، ولم يجدوا حمد آمنة أينما كان ، وفى يوم الاثنين الحادى عشر منه وصل سن كى ، وفدك كى بلدهما ، ثم سمعنا أنه فى أرض فى سندى ، وهو فصل بين أرض كل وأرض قياك ، فأمرانى أن أكتب له على لسان الباشا وإسكيا أنْ يطرده من أرضه وإذا تمكَّن منه يقتله فقبل ، وأنعم .

ثم استهل على رجب الفرد فى شبل بالسبت ، واستأذنت سن كى عثمان فى المسير إلى جنى لرؤية إخوتى ،وعمالى فأذن لى ، فخرجت من شبل يوم الاثنين الثالث منه بالبر ، فقطعت بحر كمن يومئذ ، وبتُّ فيه ليلة الثلاثاء ، وفى صبيحته خرجتُ منه سالكاً فى طريق زول .

وفى القائلة طلعتُ فى السحاب وقارب وكيفما دخلتُ فى بلد ماكر نزلت فاستأخرت فيه حتى انقطعت ، وخرجت فى وقت الظهر وصلت زول وبتُّ فيه ليلة الأربعاء عند رئيسة زول فرن .

وفى ليلة الخميس بتُّ فى بلد فال عند فال برن . وفى نهار الخميس وقت القائلة وصلتُ بلد فوثن وهو لكمى كى ، وبتّ فيه ليلة الجمعة وفى ضحوتها وصلتُ بلد تنك وهو لشلى كى . وبعد صلاة الجمعة خرجتُ منه فبتّ فى بلد فرمنتا .

وفى ضحوة السبت وصلتُ بلد شلى كى واسترحت فيه قليلاً ثم جزت . وفى وقت الظهر وصلتُ تمكر ، وفى ليلة الأحد بتّ فى تيم تام هو بلد ورن كى ، وفى ضحوة الأحد وصلتُ بينا وبتّ فيه الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس لانتظار القارب الذى يتوجه إلى مدينة جنى ، لأن ذلك وقت امتلاء البحر .

وفى ليلة الجمعة الرابعة عشر من الشهر المذكور خرجتُ من بينا إلى جنى فى القارب ، وفى ظهرها دخلتُ جنى بحمد الله وحُسْن عونه ، وأدركتُ جميع أهلى بخير وعافية ، والحمد لله رب العالمين .

وفى يوم السبت الخامس عشر منه التقى فندنك حمد فاطمة ، وجيش حمد آمنة للقتال ، فقتلوا ثلاثة من إخوة فاطمة وكثيراً من أتباعه ، ومات فيهم الفقيه سى بن أبى بكر وهو ابن عم الفقيه القاضى أد رحمة الله عليهما ، وهرب حمد فاطمة المذكور فلحقوه وقتلوه ، فرجع حمد آمنة فى سلطنته بلا منازع له فى ذلك ، ولبث المقتول فى السلطنة شهرين .

وفى ليلة الأحد الحادى والعشرين من شعبان ، خرجتُ من جنى راجعًا إلى كل بالبر أيضاً ، وفى عشية هذا الأحد وصلت بينا ، واستأخرتُ فيه سبع ليال لقضاء بعض الحاجة . وفى بكرة الأحد الثامن والعشرين منه خرجتُ من بينا .

وفى وقت القائلة وصلت بلد كنى عند كل شاع عبد الرحمن وبت عنده ليلة الاثنين ، وفى صبيحته خرجت منه وجزتُ على بلد واتنا وقت الضحى ، ثم بلد تمتام، وهو فصل بين أرض سلطان ورن ، وسلطان شيلى ، وهو مشترك بينهما قبل فى الملك ، ثم تغلب عليه سلطان شيلى فانفرد بمُلكه .

وفى هذه الناحية ثلاثة بلد (بلاد) أسماؤهم متقاربة تيم تام ، وتمتام ، وتاتام ، وفى آخر وقت الضحى وصلتُ بلد كمتنا وعند الزوال وصلت بلد يوسررا ، وفى وقت العصروصلتُ بلد بتنا . وفى العشية وصلت بلد سلطان شيلى ، وبتُّ الثلاثاء فاستهل فيها شهر رمضان .

وفى ضحوة الغد خرجت من بلده ، ووصلت بلد تنك وقت القائلة ، وهو فصل بين أرض شيلى كى ، وكمى كى من جهة المغرب ، وبتُّ فيه ليلة الأربعاء ، وفى صبيحتها خرجتُ منه ، وفى وقت الضحى جُزْنا على تاتن ، وهو بلد سلطان كمى كى ، ثم بلد تاترم .

وعند القائلة وصلتُ بلد فوتن وأدركنا السوق فيه قائماً ، وبعد صلاة العصر خرجتُ منه ، وعند أصيل الشمس جُزْنا على بلد توتا ، وغربتْ علينا الشمس فى قرية بقربه ، فبتنا فيه .

وفى وقت الضحى يوم الخميس وصلتُ بلد فال ، ونزلتُ فيه قليلاً ، حتى سلّمنا على قرن وجُزنا ساعتئذ ، وبدلنا الطريق ، وحدنا عن طريق زول لسدِّه بماء البحر إلى ذات الشمال ، ووصلت بلد تمى بعد العصر ، وبتُّ فيه ليلة الجمعة وخرجتُ منها صبيحتها ، وفى وقت الضحى جُزْت على بلد فادك ، ثم على بلد نوى ، ثم على بلد مسلا .

وفى وقت الظهر وصلتُ بلد قم ، وصليتُ فيه الظهر والعصر ، وعند أصيل

الشمس وصلتُ بلد فدك ، وبتُّ فيه ليلة السبت عند صاحبنا فدك كى محمد ، وخرجت منه صبيحته ووصلتُ فيه المرسى بلد كمن ضحوة . واستأخرتُ فيه قليلاً، ثم قطعتُ البحر إلى شبل ، ووصلته عشية السبت الخامس من رمضان بعافية فوجدتُ أهلى وعيالى بعافية ، والحمد لله رب العالمين .

ثم استهل علىَّ شوال فيه ليلة الخميس ، وفى يوم الأربعاء الرابع عشر منه مشيتُ إلى بلد شنشد فى بعض الحاجة وهو على شاطيء البحر لسكنى فوصلته آخر ضحوة، فاستأخرتُ فيه قليلاً ، ثم رجعتُ وجُزْت على بلد مدينة وهو على شاطيء البحر له أيضًا قريب منه جدًا ، وفى عشية رُحْتُ إلى شبل .

وفى يوم الخميس الثانى عشر من ذى الحجة الحرام المُكمل للعام الرابع والخمسين والألف عند الزوال زاد لنا ابن من زوجتى حليمة بنت الفقيه أبى بكر سعنتر سميته محمد الطيب جعله الله ميموناً مباركاً .

ثم إن كفار بنير قاموا على سن كى ، وفدك كى وخالفوا عليهما حتى عزموا على قتالهما ، ثم إن الله تعالى أطفأ نار تلك الفتنة بقوته وقدرته ، بل سكنت وما طفيت بالكلية فعزمتُ على الرجوع إلى مدينة جنى بعيالى .

وفى يوم الاثنين الثالث والعشرين منه بعد صلاة الظهر خرجتُ من شبل بفضل الله تعالى وحُسْن عونه ، وبعد الغروب قطعنا بحر بلد كمن . واستأخرتُ فيه أربعة أيام أصلح من شأنى للسفر فخرجتُ منه مُتوجهًا إلى جنى بالبر .

وفى ليلة الثلاثاء استهل علينا شهر المحرم الحرام الفاتح للعام الخامس والخمسين بعد الألف فى بلد تونا . وبعد صلاة الظهر فى غدها يوم الثلاثاء توفيت ابنتى زينب فى بلد فوتن ، وأقبرتُها فيه ساعتئذ ، رحمة الله عليها ، وجمع شملنا وشملها فى القيامة والفردوس الأعلى بلا حساب ولا عقاب بمنِّه وكرمه .

وفى ليلة الأحد السادس منه وصلنا بلد بينا بسلامة وعافية والحمد لله رب العالمين . وفى صبيحة الثلاثاء الثانى والعشرين منه خرجتُ إلى جنى بالبر لطلب القارب لحمل العيال ، فوصلته وقت الظهر ، وفى صبيحة الثلاثاء آخر يوم منه خرجتُ من جنى راجعاً إلى بينا بالبر أيضاً ، فوصلته وقت الظهر كذلك ، واستهل علينا صفر الخير بالأربعاء .

وفى نهار السبت الرابع منه توفى أخونا محمد بن الشيخ المختار تمت الونكرى . وفى ليلة الخميس التاسع منه خرجتُ إلى جنى بالبحر مع العيال ، فدخلنا فيه ليلة الجمعة العاشر منه ، والحمد لله رب العالمين .

وكنت فى بينا قبل المُضى إلى جنى ، جاءنا الخبر أن أولئك الكفار جاءوا إلى شبل ، فهرب أهلها جميعًا سن كى وغيره فخربوا حجراً حجراً غير المسجد والدار التى سكنتُ فيها ، والحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين ، ثم بعد ذلك فعلوا مثله لفدك كى وأكبر .

وبعد ما رجع الباشا محمد بن عثمان من غزوة ماسنة إلى تنبكت ، وأهل جنى إلى جنى حتى عزل القائد عبد الله بن الباشا أحمد بن يوسف من قيادتهم . ومكث فيها سنتين وأياما يسيرًا ، وأمرهم بمجيء الكاهية محمد بن إبراهيم شمر إليهم . وذلك فى يوم الثلاثاء غرة المحرم المذكور ، فبلغهم ذلك الأمر فتوجه إليه الكاهية محمد المذكور فولاه تلك القيادة فرجع ووصل مدينة جنى يوم الاثنين ثمانية عشر يومًا من الربيع النبوى سابع الولادة .

ثم إن حمد فندنك ماسنة كتب لأهل جنى ، ودخل فى حرمتهم أنْ يُصلحوا بينه وبين الباشا محمد بن عثمان فكتبوا له بذلك ، وكتب لهم أنه أجاز تلك الحرمة وقبلها بشرط أنْ يأتى إليه قاضيه ووالدته وأخوه ، وبعثوا إليه بإعلام ذلك صحبة مرسولهم . وفى عشية الأحد الثامن من جمادى الأول رجع المرسول من عنده وأخبر أن القاضى آت ، وأما والدته وأخوه فلا يمكن لهما الإتيان .

وفى يوم الأحد الثانى والعشرين منه جاء القاضى فاجتمع هو وقاضى جنى فى دار القائد مع الكواهى فيما يكتبون للباشا مما وقع عليه الصلح . وفى يوم الاثنين السابع من جمادى الآخرة خرج قاضى ماسنة من جنى إلى تنبكت مع شاهدى قاضى جنى فقبلهم الباشا ، وقبل الصلح وأجازه فرجع .

وفى يوم الخميس الحادى والعشرين من شعبان وصل جنى . وفى يوم الخميس الثامن والعشرين منه رجع إلى ماسنة واحد من أهل المخزن فتم الصلح ، وفى ليلة الثلاثاء آخر ليلة شوال توفى الشريف يوسف بن على ابن المزوار فى جنى ، رحمه الله تعالى ، ونفعنا به فى الدارين آمين .

وفى ليلة الأحد العاشر من ذى الحجة الحرام ، المكمِّل للعام الخامس والخمسين والألف . توفى أخونا محمد الأمين كعت فى بلد بينا ، وصلى عليه ضحوة فى المصلى رحمه الله وغفر له .

وفى ليلة السبت الثامن من المحرم الحرام الفاتح للعام السادس والخمسين والألف توفى أخونا الإمام ابن الحاج سنير الدرحى فى بلد بينا فغسَّلته وصُلى عليه ضحوة ، رحمه الله وعفا عنه بمنِّه .

وفى يوم الاثنين السادس من الربيع النبوى توفى أخونا ومُحبنا سيد الحسن ابن على الكاتب ، ودفن فى مقابر الجامع الكبير .

وفى يومئذ بعث الباشا محمد بن محمد بن عثمان مرسول جنى عند القائد محمد بن شمر ، والكاهية محمد روح ، والكاهية عبد الله الحرار ، والكاهية محمود بن أحمد ، والكاهية أحمد بن بلقاسم المساى ، والكاهية أحمد بن دهمان الحاحى ، وأمرهم بالمجيء إليه فى تنبكت ، وأنا فى بينا يومئذ .

فوصل المرسول إليهم يوم السبت سابع الولادة ، فكتبوا إلىَّ فى ذلك يوم الأحد ، ووصلنى المرسول والكتاب وقت العصر فخرجتُ من بينا فى غده يوم الاثنين ، وبتنا فى الطريق ليلتين لأجل يُبس الماء ، فوصلت جنى ضحوة الأربعاء ، ودفعنا فى المرسى أنا ومرسول الباشا عند صلاة الظهر من يوم الخميس الثالث والعشرين من الشهر .

(تعيين السعدى فى منصب الكاتب)

واستهل علينا شهر ربيع الثانى فى بلد وك ليلة الخميس ، ووصلنا مرسى كرنز فى نهار الأحد فصرف لى الحصان ، وطلعت مدينة تنبكت ليلة الاثنين الخامس منه ، والتقيت معه تلك الليلة فرحَّب بى وأكرمنى ورتبنى كاتباً نسأل الله العفو والعافية والسلامة والمعونة فى الدين والدنيا والآخرة ، وهو على كل شيء قدير ، وبالإجابة جدير .

وفى يوم السبت السادس من رجب رد إسكيا داود بن محمد سرك أجى فى مقامه على قومه فى بلده خرج من تنبكت مع مراسيل الراتب إلى كاغ يوم الأربعاء العاشر منه ، وكتب لهم أن تسير معه محلة من عندهم إلى داره فساروا معه كما أمر .

وقد أخذ إخوانه فى تدبير عزله بكثير من الرماة ، وابتدأوا ذلك من حين كانوا فى غزوة ماسنة ، ولم يزالوا يسعوْنَ فيها إلى ليلة الخميس الثامن والعشرين من رمضان قاموا عليه إلى ضحوة السبت يوم العيد أحد شهور العام المذكور خلعوه وولوا الباشا أحمد بن الباشا على بن عبد الله التلمسانى ، فصلى هذا العيد وهو صاحب الأمر .

بعدها مكث الباشا محمد بن عثمان فى الولاية ثلاثة أعوام وثمانية أشهر ، وخلف كثيرًا من المال بيعت تركته فى الثوار فاشتراها الرماة ، ثم أجلى من تنبكت إلى بر ، ثم رحل منها إلى بلد شيب حيث كانت القصبة خوفاً عليه من أهل ماسنة ليلاً يقتلوه غيلة .

ثم رجع إلى تنبكت لرسم الحساب فى ولاية الباشا أحمد بن حد ، حيث طالب المعزول الباشا يحيى بالحساب ، فقال أهل سريته إذا طالبه بالحساب ، ولا بدّ فليحضر الباشا محمد للحساب ، فحضر وحُوسبَ فخرج سائماً ، ولم يتبعوه بشيء ، فبقى فى تنبكت إلى أنْ توفى فيه عشية الجمعة غرة الربيع النبوى عام الثالث والستين والألف .

وأما الباشا أحمد فكان ذا جود وسخاء ، وحلم وحياة ، طيب الأصل ، ابن أبيه فى الفضل ، صحيح القول ، مليح الفعل . ولم يمكث فى ذلك المكان إلا ثلاثة أشهر وثمانية أيام . وفى أيامه وقع البحر فى معدك ليلة السبت سابع ذى القعدة لأربع خلوْنَ من دجنير ، بعدما تأخر فى زبير بنك سبعة أيام .

وفى يوم السبت عند الزوال خامس من ذى الحجة الحرام المكمِّل للعام السادس والخمسين والألف توفى سيد الوقت وبركته ، الشيخ المحب سيدى الشريف محمد بن الشريف الحاج الحسنى ، وصُلى عليه بعد صلاة الظهر فى الجامع الكبير ، ودُفنَ فى مقابرها رحمه الله تعالى ، ونفعنا به فى الدارين ببركته .

وفى أواخرها توفى الشيخ عبد الرحمن أكنذر بن أوسنب التاركى سلطان مفشرن فى حلته فى رأس الماء ، فخلفه سبطه أبو بكر بن ورمشت . وفى ليلة الخميس بين المغرب والعشاء التاسعة من المحرم الحرام ، فاتح العام السابع والخمسين والألف ، توفى الباشا أحمد وصُلى عليه ضحوة الخميس عند مسجد محمد نض ، ودفن فيها رحمه الله تعالى ، وعفا عنه بمنِّه .

وبعد الرجوع من دفنه اتفق الحبيش ساعتئذ فولوا الباشا حميد بن عبد الرحمن الحيونى ، كان نحيس السعد بخيس الجد ، ليس بأهل للولاية ، ولا له فيها أصل ولا فصل ، وفوَّض الأمر للوزراء ، وبقى لا له قول ولا وغل ، فدخل بذلك فى سلطتهم فساد كبير ، وهو يزداد كل يوم ، لأن جميع منْ ولىَ بعده بذلك السير يسير ، وإنّا لله وإنا إليه راجعون .

ولما رأى أن ماءه لا تغنى من غُلة ، ودلوه لا ترجع ببلة رمى نفسه بطائفة قليلة من الحبيش فى المفاوز فى وقت ترمى الهوى فيها بشرر من النار فخاطر به وبهم غررًا ، حتى ظن الناسُ أنه لا يريد بهم إلا هلاكاً وتبواً .

فخرج من تنبكت بعد صلاة الظهر من يوم السبت الرابع من جمادى الأول فى ذلك العام المذكور ، قاصدًا جهة كرم ، وقطع البحر يوم الاثنين بقرب بلد يو . وفى يوم الأربعاء الثامن من الشهر المذكور تحملنا هنالك بلا مراكب من الدواب سوى شيء من أوداش قبضه من أهل العمودى الذين كانوا فى تلك الجهة ، ورفد الناس عليهم شيئًا قليلاً من الماء والأذواد ، فتوجهنا جهة الحجر رافدين الليل والنهار حتى نهار الخميس السادس عشر منه .

وصلنا جبل نای عند وقت الظهر فعجز الناس ، وتخلف كثير من الخيل فى الطريق، ورفد أربابهم على رؤوسهم سروجهم ، ومنْ لم يقدر عليه تركه ، ونزلنا على الماء الذى كان وراء جبل سوق ، فبعث الطليعة ساعتئذ للتجسس على منْ كان فى تلك الجهات لكى يغير عليهم ، فأتى بالخبر عنهم فقطع السرية ونهضوا إليهم ليلة الجمعة ، وبتنا على ذلك الماء .

وفى صبيحة يوم الجمعة ارتحلنا للميعاد ، بيننا وبين السرية إسكيا الحاج ، والقائد عبد الصادق هم الذين عليهم ومضوْا وراء جبل سوق ، ودخلنا فى داخلها وليس معنا ماء ، والماء الذى نعت له ألفيناه قد يبس ، وما هنالك غيره . وبقينا لا نخاف إلا الهلاك من العطش .

ودخل الرماة يغتابونه ، ويسمع وهم فى حال السير على باب الله تعالى إذا نحن بالشياه فى وقت القائلة ، والناس الذين يسوقونهم هربوا ، ودخلوا فى الغابة ولا يقدر أحد أنْ يدخلها لأجل تكثفها [1] مع حمية الشمس ساعتئذ ، فساقهم الخدام معنا إلى وقت الظهر فى حال اليأس والقنوط إذا نحن بضاية من ماء السحاب من رحمة الله تعالى ولطفه ، فنزلنا عليه وصارتْ أرواحنا كأنها رُدتْ بعد ما أخرجت لأجل فرج بعد شدة .

وبعد ما ارتاح الناس قليلاً ركب نحو عشرين رجلاً ليطالعوا على الأرض ، فوافقوا بأهل البقر الذين يسيرون بين الجبال ، فتقاتلوا معهم وصابوا منهم قليلاً من البقر ، وقتلوا واحدًا من خيار الرماة ، وقتلوا حصانه ، وبتنا على الماء ونحن فى وجد عظيم

---

(١) لأجل تكثفها : أشجار ملتفة ، كثيفة .

من خبر تلك السرية إلى بعد طلوع الفجر ، وأنا فى حالة السجود .

ومن صلاة الصبح سمعتُ حسَّ طبلهم من جهة القبلة فأخبرتُه به ، ثم ارتحلنا بعد طلوع الشمس ونحن قليل التقينا مع مراسيل أصحابنا الذين أتوْا بخبر سلامتهم وهروب الفلانين منهم بأموالهم وما أصابوا منهم شيئاً ، ثم التقينا بأنفسهم، وفى آخر وقت الضحى نزلنا فى مقابلة بعض قرية المشركين أهل الجبل فى أحرائهم ، وبتنا هنالك ليلة الأحد .

وفى غد ارتحلنا والتقينا مع أخ دعنكاكى فارى بريد إلى صاحب الأمر ، يطلب الأمانة فى الحضور لديه ، فأعطاه إياها فرجع إليه بالخبر بعد ما نزلنا على ماء بنك ذيب فى مقابلة جيل لنب ، وبتنا هنالك ليلة الاثنين . وفى العشية جاء دعنكاكى المذكور فسلَّم ودعا ، فرفع التراب على رأسه وأخذ العهد فى الأمان لنفسه وصاحبه هنبركى الهادى بن هنبركى موسى كروا فى أنفسهما وأهلهما وبلدهما ، فسألته عن هنبركى المذكور ، فقال : عن قريب يجيء فأكرمه صاحب الأمر غاية الإكرام .

وبتنا هنالك ليلة الثلاثاء ، وفى غد ارتحلنا راجعين إلى ورائنا فى طلب المحارب حمد بلل ، ونزلنا فى مقابلة بعض قرية المشركين وقت الظهر فى مقابلة جبل مكة لجهة اليمين من جبل نادى .

وفى عشيته جاءنا هنبركى المذكور ، وبتنا هنالك ليلة الأربعاء ، وقد بعث الجسوس فى أمر حمد بلل المذكور ، وفى غد ارتحلنا فعن قليل تلقينا مع الجسوس فأخبرنا بمكانه وأنه بقرب منا ، ومعنا دعنكاكى المذكور ، فجاهدنا عن السير بعدما تأهبنا للقاء الحرب فجُزْنا على بلد أحمد سانو فى وقت الضحى ، وهو فى حال الهروب .

فلما قاربناه دخل فى نار جبل دان ، وهو قد بلغ غاية الاعتلال [1] والرفعة ، حتى أن الإنسان إذا طلع فوقها لا تحسبه إلا طيراً صغيراً ، فنزلنا فى قممهم عند الزوال .

وبتْنا هنالك ليلة الخميس ، وفى غد ضَحْوة بعث السرية فى أثره ، فولجوا فى تلك الغار وبانوا فى أثره ليلة الجمعة وليلة السبت ، وفى غد بعد الظهر رجعوا إلينا وما صابوا منا نيلاً ، وفى صبيحة الأحد ارتحلنا راجعين . وفى يوم الثلاثاء بعد الزوال الثامن والعشرين من جمادى الأولى نزلنا عند جبل دعنكا . وفى هذا اليوم كسفت

---

(١) الاعتلال : شدة الارتفاع .

الشمس فى تنبكت فحدثنى بعض الطلبة أنه لما رأى عدم اجتماع الناس لصلاة الكسوف رفع الأمر إلى القاضى محمد بن محمد كرى رحمه الله ، فأجابه أنها لا تمكن والحال ما فيه سعة .

وحدّثنى بعض الإخوان أيضاً أنه ظهر فى تنبكت فى ليلة واحدة من ليالى هذه الأيام بين المغرب والعشاء مثل دخان عظيم كثيف قد عمَّ ديار البلد كلها فتشوّش الناسُ منه ، ولم يدروا من أين حدث ، وأخذوا فى التفتيش والبحث عنه ، حتى أتموا المنازل كلها ظناً منهم أنْ يكون حريقًا فيها فما كان أصلاً .

الحاصل بعد ما نزلنا ساعتئذ بعث صاحب الأمر سرية فغاروا على بعض الفلانيين، فغنموا قليلاً من البقر ، ورجعوا إلينا ليلة الأربعاء ، وفى غد ارتحلنا متوجهين إلى جبل هبز فضلّ يومئذ بعير بجميع ماعون المطبخ ، ولم يدر أحدٌ أين دخل ولا فى أى طريق سلك ، فنزلنا على الماء وقت الضحى عند قرية تسمى كيرناو ، وبتنا هنالك يوم الخميس واستهل بها شهر جمادى الآخرة.

وفى غد ارتحلنا ، وفى آخر وقت الضحى نزلنا على ماء كرم ، وبتنا عليها ليلة الجمعة . وفى غد ارتحلنا متوجهين هبز ، والتقينا بالبريدين فى الطريق بخبر هروب هنبركى خوفاً من سطوة صاحب الأمر على زعمه ، فوصلنا آخر وقت الضحى من يوم الجمعة الثانى من شهر جمادى الآخرة فنزلنا هنالك ، وفى غده بعث لصاحب الأمر فى طلب الأمان فأعطاه ذلك ، وأتى وحضر وقطع عليه المال فى الزرع الخدام وشقوق التوارى ما قطع فشرع فى وقفها .

ثم خاف أيضاً وهرب والموافقة ما كانت بينه وبين أهل بلده واجتمعوا على كراهته ، وطلبوا من صاحب الأمر أنْ يعزله ويولى عليها أخاه يوسف بن هنبركى موسى كروا ، فولاه عليهم وأعطى جميع ما قطع على المعزول والزيادة ، ثم بعث السرية هنالك على بعض الفلانيين فغاروا عليهم ، وغنموا بقرات فأخذنا هنالك عشرة أيام .

وفى عشية الخميس الخامس عشر من الشهر ، ارتحلنا مُتوجهين إلى تنبكت ، وقد باع الرماة لأهل هنبر فنانيشهم [1] وحميرهم وخواتيمهم وتهاليهم وصدرياتهم ، وغير ذلك بأدنى شيء من الزرع لأجل ما نالهم فى ذلك الطريق من فاقة الجوع .

---

(١) فنانيشهم : قلانسيهم ، أو الطواقى التى على رؤوسهم .

وفى يوم الثلاثاء عشرين يوماً من الشهر المذكور ، وصلنا البحر على بلد أشر ، ونزلنا فى مقابلة بلد كوى ، وقد بقى كثيرٌ من الخيل فى الطريق لعجز ، وما وصل أربابهم البحرَ إلا على أرجلهم ، ورمى الناسُ بعض أمتعتهم وأثاثهم . والمنزل الذى نزلنا فيه يومئذ يُقال لها كنك كرى .

وفى يوم الاثنين السادس والعشرين منه ارتحلنا ودخلنا مع صاحب الأمر فى القارب ، ومضى أصحابُ الخيل بساحل البحر ، وبتنا ليلة الثلاثاء عند المقطع بقرب بلد بيب ، وفى غد قطعنا . وبتنا ليلة الأربعاء وراء البحر من جهة حوص .

وفى ليلة الخميس ارتحلنا منه ، ووصلنا مرسى كرنز فى ضحوة الخميس آخر يوم من الشهر ، واستهل شهر رجب بليلة الجمعة . ويوم الجمعة غرة هذا الشهر ورد علينا فى المرسى مراسيل أهل مدينة كاغ يستخبرون عن عافيتنا وسلامتنا فى ذلك السفر ، وأمرنى أنْ أكتب لهم الجواب فى ذلك ، فالله تعالى يسامحنى ما أودعته فيها من الأقوال المزخرفة ، ونصه :

الحمد لله وصلى الله على نبيه محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا ، الأبرار المُكرمين ، الأخبار المُعظمين ، الأنجاد المرعبين ، الأسناد المرضيين ، القائد منصور بن مبارك الدرعى وكافة مَنْ معه من القياد ، والكواهى ، والمُقدمين ، والبشوظات ، وضباشيات ، وساير الويضاش .

رعاكم الله ، وأنجدكم ، وأعانكم ، وسددكم وأصلح بمنِّه كافة أحوالكم ، وبلّغكم من جميع الخيرات والمسرّات بمناكم وآمالكم ، بسلام تام عميم عليكم ، ورحمة الله وبركاته عن الخير والعافية ونعم الله المتوافية .

كتبناه إليكم لله ، الحمد لله وله الشكر ، وعن ما تشوقتم إليه من معرفة إليه من معرفة أحوالنا وأخبارنا حسبما هو مسطورٌ فى كتابكم الكريم الذى ورد علينا صحبة مراسيلكم فى مرسى كرنزفى فأدركنا فى كل ما تحبون لنا وتمنون من العافية الباسطة ، الوافرة والنعم السابغة الفاخرة من المولى الكريم ذى الفضل العظيم ، وذلك لما عزمنا على الحركة إلى ناحية الظلمة المفسدين أعداء الله ورسوله قبيلة سفشير الذين أفسدوا طاعتنا فى كيس بجهة كرم وخسروها خرجنا بالمحلة السعيدة إلى ساحل البحر فى السفن .

وسبب خروجنا بأنفسنا فى ذلك شيئان ، أحدهما الاطلاع على أمكنتهم ، ومساكنهم فى غايتها ونهايتها فى البعد والمسافة بركائبنا وأرجلنا وحوافر خيلنا ، دفعًا لَمَا قد عسى أنْ يتوهمه الغبىُّ الأحمق أن طول رقدتنا لتعديتهم ومفسدتهم التى شملتْ طاعتنا وبلادنا منهم ومن غيرهم من القطاعين والمحاربين كان من ضعفنا وعجزنا .

كلا ، ليس الأمرُ كما يزعم الزاعم ويتوهم الغبى الظالم ، بل منْ صبر السلطة وتانيها حتى تبطش البطشة الواحدة فاقتحموا كل شيء أتتْ عليه فى لحظة واحدة .

الثانى من الشيئين ضيق الحال ، و خلو الدار من المال لأخلاها الله تعالى من الخيرات والبركات ، ولكن للدنيا طلوع ونزول وتغيرات وجول ، والأرزاق تغور وتفور وترقد وتبور .

وهذان الشيئان أخرجانى فيها ، فلما انتهينا إلى موضوع الطلوع إلى العوالى ، وانتقلنا من بطون السفن بحفظ الله الكبير المتعالى ، وحملنا على ظهور الدواب بعون الله القدير الوهاب شرعنا فى اتباع أثر الأبعد الخاسر الظالم الفاجر ، رأس شياطين الإنس حمد بلل .

نقطع أكمة وأجاماً ونشد عزمة واحتراماً ، وتلفظنا أرضٌ إلى أرض ، ويجذبنا رفع من خفض ، حتى وصل السير إلى سفح الجبل بعناية مَنْ بيده القوة والحيل ، وسلكنا منها مسلكاً ما سلكه أحدٌ قبلنا لا من الأسلاف ولا من الأخلاف .

فصرفنا لأربابها من مشارقها إلى مغاربها من صاحب هنبر ، ودعنكا وفيلى ، فأجابوا دعوتنا وأنابوا لسطوتنا ، حتى اتصلت الإجابة لصاحب كرو وغيره فنزلوا إلينا وحضروا الدنيا مُذعنين راغبين مُذللين راهبين ، فتجددوا لمولانا نصره اللهُ تعالى البيعة والطاعة .

وقالوا كل ما أردتم منا من الخدمة ، فالساعة الساعة ، وتبرؤا من جميع أعدائنا وقلعوا من رقابهم كلّ عروة إلا عُرى طاعتنا ، فطلبوا منا الأمان على مهجتهم وبلادهم ، فأعطيناهم ذلك بالعهد والميثاق ، فنهضوا معنا إلى لحاق ذلك الأبعد الخاسر ، وأخذنا فى أمره حتى قاربناه .

فلما تيقن بالهلاك رمى نفسه فى غارة ضيقة أضيق من سَمِّ الخياط ، وعن المسلك صعب الارتقاء منفرداً وحيداً تفرق عنه أصحابه وأتباعه ، وتشتت عنه أهله وأشياعه ، فولج عليه فى ذلك الغار الأسود والنسور ، جيشنا المؤيد المنصور ، حُفاة

مُشاة ، لما توقد فيهم حينئذ من غضب النجدة والجرأة فاغرين أشداقهم[١] رافعين أعناقهم مبدين أنيابهم ومخاليبهم حتى انتهوا به منتهى الغار ، فرمى نفسه إلا ورائها فى أيدى المشركين .

فلما رأى أنه ضاقت عليه نفسه ، وضاقت عليه الأرض بما رحبتْ ، بعث المرسول إلى صاحب دعنكا فى العفو منا ، وأنه تائب لله ولرسوله وللسلطنة ، فعفونا عنه وأعطيناه الأمان على روحه فقط . ثم بعث لنا قومه أنهم سلموا فيه وأنهم متبرئون منه ، طالبين الأمان على أنفسهم بعدما أغرنا على بعضهم ، وغنمنا منهم بحمد الله تعالى وفضله ، فأعطيناهم الأمان وقطعنا عليهم المال ، ورجعنا سالمين غانمين منصورين ، بفضل الله تعالى وكرمه ، ثم ببركة مولانا سلالة الهاشمى ، نصره الله تعالى .

وقد سمعنا خبر هؤلاء التوارق المدن الذين نزلوا عليكم وخبر ما جرى بينهم وبين صاحب أكنزر ، فإنْ رأيتم فيهم الغرة[٢] فلا تتركوهم ، بل اقتلوهم قتل عاد وثمود ، لأنهم غدارون خائنون ، ما فيهم أمان بكلِّ وجه إنْ كنتم تقدرون ذلك بأنفسكم .

فعلى بركة الله تعالى ، وإلا فاكتبوا للقائد محمد بن عيسى الكوش ببنب أنْ يمدكم بكلِّ منْ كان معه من الرماة والعرب ، لا تفشوا سركم حتى يمكنكم الله فيهم ، ليلا[٣] يأخذوا حذرهم منكم ، لأن الحربَ خُدعة ، بارك الله فيكم ، وكان لنا ولكم ولياً ونصيرًا .

وبه كتب يوم السبت ثانى رجب الفرد عام السابع والخمسين والألف فى مرسى كرنز ، فى خديم المقام العالى المحمدى نصره الله صاحب السعادة الباشا أحمد بن عبد الرحمن الحيونى ، لطفَ اللهُ به بمنِّه وكرمه . انتهت الرسالة .

وبقى فى ذلك الوهن والضعف إلى نهار الجمعة السادس من شوال عام الثامن والخمسين والألف عُزل ومكث فى الولاية سنة واحدة وتسعة أشهر ، فتولى ساعتئذ الباشا يحيى بن محمد الغرناطى باتفاق الجيش ، فكان فاحشًا متفحشاً ، مُسلطاً مُبغضاً للخلق ، مُتكلماً فى العلماء الشرفاء أهل البيت ، وفى أولى الفضل كلهم بالسوء، نماماً خلاطًا ، ويُغرى بين الناس بالشر .

---

(١) فاغرين أشداقهم : فاتحى أفواههم .

(٢) الغرة : الغرور .

(٣) ليلا : لئلا .

ومكث فى الولاية ثلاث سنين وأيامًا يسيرة ، فكان كالثلاثين سنة طولاً من الثقل والسآمة ، فتحرك مرتين مرة إلى كاغ ، ومرة إلى بنب ، وكل ذلك يحول الله سبحانه بينه وبين ما يريد فى الناس من الشر والتوجه له .

خرج من تنبكت لحركة كاغ يوم الاثنين السادس من جُمادى الآخرة عام ستين وألف إلى جزيرة زنتا بعد ما قتل الشيخ إبراهيم بن الرعوان الشبلى فى ثالث عيد النحر مُكمل عام التاسع والخمسين والألف ، ومنه نفر عنه قلوبُ جميع العرب والتوارق لا من عدو المقتول ولا من صديقه ، فمكث فى تلك الجزيرة خمسة أيام .

وفى يوم الجمعة العاشر من الشهر ارتحلنا منها ، ووصلنا بنب يوم الجمعة السابع عشر منه فى ثمان مرحلات ، وبتْنا فيه ليلة واحدة وارتحلنا منه صبيحة السبت الثامن عشر منه إلى كاغ .

وفى ضحوة الاثنين العشرين منه جُزْنا على بلد كابنك ، وعلى بلد توصا . وفى يوم الأربعاء الثانى والعشرين منه نزلنا على بلد يرم والتقينا مع أهل كاغ ضحوة الخميس عند شجرة البرج .

وفى يوم الجمعة ، نزلنا تندب ، وأقمنا فيها ثلاث ليالى من وراء البحر . وفى يوم الاثنين ارتحلنا منه ويتنادون مدينة كاغ ، ووصلناها ضحوة الثلاثاء السابع والعشرين من النهر فى تسع مراحل ، وفعل فيها ما فعل .

واستهل علينا فيه شهر رجب ليلة الجمعة ، وارتحلنا منه راجعين يوم الاثنين الخامس والعشرين منه . واستهل علينا شهر شعبان ليلة السبت فى بلد حوصا عند جبل دار ، ووصلنا بنب نهار الأربعاء الخامس منه ، وأقمنا فيه سبعة أيام ، وفعل فيه ما فعل .

وارتحلنا منه يوم الأربعاء الثانى عشر ووصلنا المرسى يوم الأحد السادس عشر منه وأقمنا فيها أربعة أيام ، ودخلنا مدينة تنبكت يوم الخميس عشرين يوماً منه . واستهل علينا الشهر المُعظم المبارك رمضان ليلة الاثنين لكمال شهر شعبان ، والحمد لله رب العالمين .

ثم خرج من تنبكت لحركة بنب ضحوة السبت الثالث والعشرين يوماً من جمادى الأولى عام أحد وستين وألف ، ونزلنا فى ذلك اليوم فى جزيرة زنتا أيضاً ، وتأخرنا فيها عشرين يوماً انتظاراً لبعض حوائج الجيش ، وارتحلنا منها يوم الخميس اثنى عشر يوماً من جمادى الآخرة .

وقد استهل بالأحد ، وتوجهنا إلى بلدة بنب لمداركة ما أفسد فيها المخالفون من البرابيش والتوارق ، فكتب للجيش الذى كان بمدينة كاغ أنْ يلتقوه بزمكى ، وهو موضع معروف ببنب من جهة المشرق فأجابوا وأنعموا ، وقادتهم يومئذ رابح بن عيسى الكوش ، فوصلناها فى سبع مراحل .

ونزلنا فيها ضحوة الأربعاء الثامن عشر من الشهر المذكور ، ففرَّ منه البرابيش والتوارق ، وتفرقوا شذر مذر ، فبعث لهم بالأمان مرارًا متكررة ، فلم يجيبوا حتى بعث لهم القائد علال بن سعيد الحروسى ، وهو والى البلد يومئذ فامتنعوا وبعض جيشه هم الذين يبعثون لهم أنْ لا يجيبوا دعوته ، لأنه غدار ، وقد كان حزن على قتل إبراهيم الرعوانى ما زال فى قلوبهم ولا يزال .

ثم إن قائد كاغ جاء فى طائفة من الجند ، وقد خرجوا جميعاً من المدينة ، ثم اختلفوا فرجع الجل وما رضوا بالمجيء بالمخالفة البينة حتى كادوا يقتلون وزعموا أن القائد رابح وأخاه القائد محمد الكوش ومنْ كان معهما على نية واحدة هم الذين مكنوه فى الوصول إلى كاغ ، ويريدون الآن أن يسوقهم إليه فى هذه الساعة ليفعلوا فيهم ما شاء الله الحاصل ، تاجروا معه فى بنب ، وما وجد طريقاً إلى مراده بشيء من الأشياء ، وبقوا معه إلى يوم رحيله إلى تنبكت ، وهو يوم الاثنين السابع من رجب الفرد فوادعهم وقرأ لهم الفاتحة ، فرجعوا إلى بلدهم فعزلوا القائد المذكور مع الكاهية الذى جاء معه ، وهو من أهل اليمن ، وما زال بُغضهم فى قلوبهم إلى الآن .

وقد مرضتُ أنا فى بنب مرضًا مخوفًا ، ثم إن الله تعالى بفضله وكرمه عافانى وشفانى عظم الله به الكفاءة بجاه نبينا ومولانا محمد ﷺ فتوجهنا لتنبكت ، ووصلنا مرسى كرنز فى يوم الجمعة الثامن عشر من الشهر المذكور ، وبتنا فيه ليلة السبت وفى غده استأذنته فى الوصول لدارى لأجل ذلك المرض ، فأذن لى وركبتُ بعد صلاة العصر ، وبتُّ ليلة الأحد فى قرية أمظغ لعدم الطاقة على الوصول فى تلك الحالة . وفى صبيحته وصلتُ البلد ودخلتُ دارى ، وأدركتُ عيالى كما أحب . فلله الحمد وله الشكر .

وتأخر هو فى المرسى إلى يوم الخميس الرابع والعشرين من الشهر المذكور ، فطلع البلد فى بئس الحال حتى ما طاف البلد فى الركوب على العادة القديمة السالفة من أجل الغم والكرب ، وكيفما تولى بدأ بالشر لأهل جنى بلا سبب ولا مُوجب ، فخالفوا عليه ونبذوا أمره وراء ظهورهم ، حتى انعزل ورام الوصولَ إليهم للانتقام منهم ، فما يسَّر الله تعالى له السبيلَ إلى ذلك .

ثم عزل القائد محمد شمر من قيادتها ، فأمر بمجيئه إليه ، فجاء إليه وحاسبه فى إخراج ذلك الأرض ، فعزل منها وسجنه فى بلاد بر حتى عمى هنالك ، ومكث فى الولاية سنتين ونصفاً ، والله أعلم .

وفى أوائل رمضان فى العام التاسع والخمسين والألف ولاها عبد الكريم ابن العبيد الدرعى قائداً ، وفى أيامه تُوفى الشيخ إبراهيم بن الرعوان الشبلى كما مرَّ ، وكذلك القائد على بن رحمون المنبهى .

وفى يوم الاثنين ، آخر يوم من شوال عام أحد وستين وألف عزل الباشا يحى بن محمد الغرناطى ، ومكث فى الولاية ثلاث سنين وأربعة وعشرين يوماً .

فتولى الباشا أحمد بن الباشا حد بن يوسف الأجناسى فى ضحوة الثلاثاء غُرة ذى القعدة الحرام فى العام المذكور باتفاق الجيش ، فكان رفيقاً بالناس مُعظماً للعلماء والصالحين وأهل الفضل كلهم ، ولكن ليس له معالى الهمة وأخرج الجيشُ بيتَ المال من يده ، وجعلوه فى يد الحاكم ناصر بن عبد الله الأعمش ليكون قائداً أميناً فى فور ولاية الباشا أحمد المذكور فى المنشور السعيد ، فتكفل لهم القيام بحقوقهم ، وعزلوا القائد بلقاسم المكى التحلى من المتلمين الناقص الذى هو فيه .

ومن مات فى أيامه من الأعيان القائد محمد العرب بن محمد بن عبد القادر الشرقى الراشدى ، تُوفى فى أواسط الصفر فى العام الثانى والستين والألف . وفى السابع والعشرين منه توفى أخونا ومحبنا الأمين القائد بلقاسم ، المذكور رحمه الله تعالى وغفر له بمنّه .

وفى ظهر الأربعاء الثانى من الربيع الثانى عام الثانى والستين والألف تُوفى القاضى محمد بن محمد بن محمد كرى رحمه الله تعالى وعفا عنه بمنّه وفضله ، فتولى القضاء وعمره خمسون سنة ، ولبث فيها سبع عشرة سنة .

وفى ضحوة الخميس العاشر منه فى العام المذكور قلد القضاء الفقيه أبا زيد عبدالرحمن بن الفقيه أحمد معيا فى المشور السعيد [1] سدده الله تعالى ووفّقه وعمره يومئذ ثلاث وسبعون سنة .

---

(١) المشور السعيد : المشور هو المكان المخصص للقاء الحاكم والرعية ، وأضيفتْ إليه كلمة سعيد كنوع من الزلفى والتقرب .

وفى عشية الجمعة غُرة الربيع النبوى عام الثالث والستين والألف تُوفى الباشا محمد بن محمد بن عثمان ، وفى يوم الأحد سابع ذى الحجة الحرام مُكمِّل العام الاثنين والستين والألف عزل القائد عبد الكريم بن العبيد من القيادة فى جنى . وولى القائد على بن عبد العزيز الفرجى تلك القيادة يوم الخميس السابع عشر من المحرم الحرام فاتح عام الثالث والستين والألف .

وفى يوم الجمعة الثانى والعشرين من الصفر عام اثنين والستين والألف وصل على ماء البحر معدك . وهو ثان وعشرون يوماً من فبرائر ، ولكن وصل الوضع المعهود الذى ينتهى إليه عادة ، بل وقف عند مرمس بند ، هذا أمر غريب الذى لم نره ولم نسمع به أنه جرى قبل ، وهو من حوادث الزمان وغرائبه .

وفى أيامه انفتح أبواب الفتنة من كل جهة ومكان ، كتب اللهُ لنا وللمسلمين فيها السلامة والنجاة بمنِّه ، وفى أواخر ذى القعدة الحرام من العام الثانى والستين والألف خالف الشيخ أعل الدومسى على أهل كاغ ، وهرب منهم إلى سغى عند إسكيا داود بجميع ما هنالك من أرباب المواشى من العرب ، والتوارق ، والفلان وغيرهم .

وفى أواسط المحرم الحرام فاتح العام الثالث والستين والألف حرك إليهم القائد منصور بن مبارك السواف قائد كاغ بجيشه ، فتبعهم للإغاثة من أهل تنبكت خمسون رامياً مع المعزول الكاهية أحمد بن سعيد المداينى ، فوصلوا إلى بلاد إسكيا وهرب منهم ، وترك البلد خالياً ، وأما أعل فما نالوا منه نيلاً . فولوْا راجعين وتبعهم أعل المذكور يرميهم الكفار الذين معه بالنشاب كل ليلة إلى كوكيا ففارقهم .

ثم أتى بغزوة إلى أرض أشر فغار على جميع مَنْ كان هنالك من العرب والتوارق وسارق أموالهم فتبعوه قليلاً ، ثم خافوا من شرِّه فرجعوا ، وذلك فى شهر رمضان فى العام المذكور .

وفى هذا الشهر خالف جنكي انكبعلى على أهل جنى ، ومكث فى بلد شو عند ماتنك دشم جعل اللهُ عاقبةَ الجميع خيراً . وفى يوم الجمعة السابع من الربيع الثانى فى هذا العام ، رسى أخونا الفقيه محمد سعدى بن الوالد عبد الله بن عمران مرسى كبر قد جاء من جنى لقدح عينيه [1] عند مجيء الطبيب إبراهيم السوسى .

---

(١) لقدح عينه : للكشف على بصره .

وطلع البلد ليلة السبت ، وأنزله الباشا أحمد بن الباشا حد فى داره ، فأكرمه وأبرَّ به غاية المبرة والإكرام ، فتسبب له الطبيبُ المذكور ، ففرج الله تعالى عنه ، وأخرجه من ظلمة البصر .

ولبث فى تنبكت ثلاثة أشهر وأربعة أيام ، فأعطى الباشا أحمد الطبيب من عنده ثلاثة وثلاثين مثقالاً وثلثاً ذهباً ، ثم أعطاه هو عند رجوعه لوطنه جنى أربعين حجرة ملحاً [1] وكساه كسوة فاخرة ، فخرج من تنبكت بعد صلاة الفجر من يوم الاثنين الثالث عشر من رجب الفرد فى العام المذكور ، وما تأخرتْ والدته فى الحياة بعد ذهابه إلا شهرين وثلاثة وعشرين يوماً .

---

(١) أربعين حجرة ملحاً : كان الملح يعتبر من العملات الهامة من سنغاى .

obeikandl.com